صورة الخيل في السياق القرآني

The image of horses in the Qur'anic context

اللقب الاسم(عبدالله واييني)

قسم اللغة والأدب العربي–جامعة غرداية–غرداية(الجزائر)

البريد الإلكتروني (ouaini.abdallah@univ–ghardaia.dz)

تاريخ الإرسال: 2024/02/11 تاريخ القبول: 2024/05/01 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:زخر القرآن الكريم بالحديث عن عديد المواضيع، فهو لم يفرط في شيء إلا وتحدث و أبان فيه وهذا ما أكدته الآيتان الكريمتان في قوله تعالى:(ما فَرَّطْنا في الكِتابِ مِن شَيْءٍ)[سورة الأنعام:38]، و قوله تعالى:(وَكُلَّ شَيْء فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا)[سورة الإسراء:12] فكل ما يحتاجه الناس من حاجة تتعلق بمصالح في دنياهم ودينهم إلا و فصلها الله سبحانه في قرآنه، أو بينه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، لهذا نجد أنفسنا عند القيام بعملية مسح للمواضيع التي تكلم عنها هذان المصدران أنها تنوعت وتعددت وشملت كل مجالات الحياة والإنسان، ومن بين المواضيع التي صورها القرآن في غير ما سورة، الخيل والجياد، فكيف وردت صورتها في هذا المصدر؟ وبما اتسم تصويره لهذا الحيوان؟. هذا ما سنحاول تتبعه وكشفه في هذه الورقة البحثية الموسمة بـ:صورة الخيل في السياق القرآني.

الكلمات المفتاحية: صورة؛ الخيل؛ السياق؛ القرآن؛

The image of horses in the Qur'anic context

المؤلف المرسل: وايني عبد الله، الإيميل: ouaini.abdallah@univ-ghardaia.dz

***Summary**:The Holy Quran is full of talking about a lot of themes, He only exaggerated anything and talked to him and this is what the two esteemed verses confirmed in his statement: ((We overestimated the book)[Surat Al-Anamoum:38], The Almighty said: (All claws, claws, claws, claws)[Essay bracelet:12] All the things that people need are related to interests in their world and religion, except for the separation of them by Allah Almighty in his Quran. or between the Prophet, may Allah bless him, That is why we find ourselves when conducting a survey of the topics these two sources have talked about that they have varied and included all fields of life and humanity. Some of the topics depicted in the Quran are not what is fought. Horses and horses, How was it pictured in this source? And what was his photograph of this animal?. This is what we will try to track and reveal in this paper labeled:Equine Image in the Quranic Context.*

***Keywords**: Image; Horses; Context; The Quran*

1.مقدمة:

شغف الإنسان العربي بالخيل وحبه لها، وافتخاره واعتزازه بها وبركوبها والصيد عليها، فلطالما وردت في أشعار الشعراء، من أمثال عنترة بن شداد، والمتنبي وأبي فراس الحمداني وغيرهم من فحول الشعراء فقد تغنوا بها وبذكرها، والقرآن الكريم وقد سار على سنن العرب في تصرفاتهم في الكلام لم يخلُ من ذكر هذا المخلوق فقد ورد ذكره في مجموعة من الآيات، ولم تغفله السنة النبوية أيضا وهذا ما سنقف عليه بعد التعريف بهذا المخلوق وقبل الخوض في جزئيات الموضوع نضع القارئ أمام خطة العمل والتي كانت كالآتي:- مقدمة

- تعريف الخيل.

- صورة الخيل في السياق القرآني.

- خاتمة.

2.مفاهيم ومصطلحات لعنوان الرئيسي الأول

1.2 **مفهوم الصورة: لغة:** تعددت مفاهيم الصورة في القواميس العربية، فقد تطلق ويراد بها حقيقة الشيء، والتوهم والظن، وقد يراد بها التمثيل جاء في لسان العرب لابن منظور , مادة (ص .و. ر) " الصورة في الشكل, والجمع صور , وقد صوره فتصور , وتصورت الشيء توهمت صورته , فتصور لي , والتصاوير :التماثيل. "[1]

و لقد صور القرآن الكريم الكثير من الأشياء وكأنها تبدو ماثلة أمام التالي له, فيصور حركتها ويجلي لونها تارة, وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار , وجرس الكلمات ,ونغم العبارات ,وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور.

2.2 – تعريف الخيل

لغة:الخيل في اللغة يطلق على الحيوان المعروف عند العرب بالشجاعة والإقدام في الحروب، المشتهر بالعدو والفروسية، والخيل من الخيلاء بمعنى الكبر والعز، فالخيل تعتز بنفسها، والعرب يعزونها وكأنها قطعة منهم، ويقال أيضا خيل إليه الأمر اشتبه عليه والتبس، وهي خيل الغزو التي تعدو فتضبح؛ أي تصوت بأجوافها[2].

فالخيل في اللغة يطلق ويراد به الحيوان المعروف عندنا، وقد يقصد الاشتباه والالتباس من اللبس والتشبيه، ولذا يقال خيل إليه الأمر.

قال ابن منظور:... وقولهم:تَخَيَّلْتَ أي اشتبهت[3].

– **تعريف الخيل اصطلاحا:**هي ذلك الحيوان الذي يقتنى للاستعانة به في الحروب، ويتحصن به من غارات الأعداء؛ هذا في الحرب، وفي السلم هو وسيلة للصيد واللهو، ولها العديد من المسميات التي أطلقها عليها العرب من شدة اهتمامهم بها سواء أكانت تتعلق بها أو بنتاجها ذكرها أبو عبيدة[4]، فالعرب جعلت للخيل عدة أسماء عند نتاجها منذ أن ترغب بالفحل إلى أن تضع جنينها، وهذه الأسماء معلومة منذ الجاهلية إلفها العرب بالنسبة لها.

3. صورة الخيل في القرآن

احتفى النص القرآني بذكر الخيل في غير ما موضع مصورا إياها في كل مرة بما يتوافق والسياق الذي وردت فيه ومن الصور التي صورها القرآن بها الآتي:

1.3 الخيل كما صورها القرآن

– **محبوبة للناس**:فالخيل من الأشياء التي حببت للنفس الإنسانية البشرية، وترى فيها مصدرا للفخر والعز وقد ورد هذا التصوير لها في القرآن الكريم عندما ذكرها المولى عزوجل من الأشياء التي جبلت النفوس على حبها قال تعالى:(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [سورةآل عمران:14]، فقد بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة جملة من الأشياء التي جبلت النفس الإنسانية على حبها ، منها النساء والبنون والذهب والفضة والخيل المسومة؛ وهي مدار حديثنا، وكذا الأنعام، فالقرآن الكريم صور حب الناس للخيل وخص منها المعلمة وهي من السمة؛ أي العلامة، وقد يراد بها التى ترعى كما كانت المحبوسة والموقوفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيت مال المسلمين والخيل من أعز وأثمن ما امتلك العربي، ولما كانت بهذه المنزلة عندهم نلاحظ أن الله تعالى ذكرها قبل "الأنعام" وقد اختلف العلماء في المزين لها، فذهب بعضهم إلى أن الله هو الذي زينها للناس، وقال بعضهم المزين هو الشيطان وقد فصل القرطبي ذلك في تفسيره الآية[5]،وسميت خيلا لأنها رمز للعز والفخر فالفارس الممتطي لها يختال بها على أعداء الله تعالى. وسمي الفرس فرسا لأنه يفترس الأرض افتراس الأسد وثبانا، ويقطعها كالبرق الخاطف، وسمي عربيا نسبة لإسماعيل عليه السلام .

أما المسومة يعني الراعية في المراعي والمسارح من سامت الدابة و انسابت في الأرض، وقيل: المسومة المعلمة التي بها علامة في وجهها

ولقد شد انتباهي ذلك التصوير الرائع الذي قدمه السيد قطب في الظلال للخيل عند وقوفه على تفسير هذه الآية، حيث رأى بأن الخيل حتى في عصرنا هذا عصر المادة والتكنولوجية لا تزال محببة للنفوس ولا أدل على ذلك ما نراه في أعراسنا من جلب الخيالة والاستمتاع بمناظرها وفروسيتها يقول رحمه الله في هذا الشأن:" ثم قرن إلى النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. الخيل المسومة. والخيل كانت – وما تزال حتى في عصر الآلة المادي اليوم – زينة محببة مشتهاة. ففي الخيل جمال وفتوة وانطلاق وقوة وفيها ذكاء وألفة ومودة. وحتى الذين لا يركبونها فروسية، يعجبهم مشهدها، ما دام في كيانهم حيوية تجيش لمشهد الخيل الفتية!"[6]

– **أداة للرباط في سبيل الله ومصدر للقوة:** فقد صور القرآن الكريم الخيل بأنها من أحسن ما يكون للرباط في سبيل الله، فرباطها فيه فضل وشرف ومنزلة عظيمة، وهي رمز للقوة والخيلاء على الأعداء ويفضل رباط الإناث لما فيها من الفائدة فيستفاد من ما في بطونها من خِلْفة،ويستعمل ظهرها للركوب، ولهذا نوه سبحانه وتعالى بها بأنها مصدر من مصادر القوة على الأعداء قال تعالى بيانا لذلك:(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)[الأنفال:60]. فالله سبحانه وتعالى يهيب بالمسلمين أن يتجهزوا لأعدائهم ويعدوا لهم العدة والعتاد المتمثلان في السلاح والجياد المساعدة على الإغارة في المعارك والحروب، ولذلك شجعهم على توقيفها وربطها في سبيله قال أبو حاتم عن ابن زيد: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، وجماعته ربط. وهي التي ترتبط.

قال الشاعر:

أَمَرَ *الْإِلَهُ* بِرَبْطِهَا لِعَدُوّهِ ***فِي الْحَرْبِ إنّ اللهَ خَيْرُ مُوَفّقِ

لِتَكُونَ غَيْظًا وَحُيّطًا * لِلدّارِ إنْ دَلَفَتْ خُيُولُ النّزّقِ**[7]

وقال مكحول بن عبدالله :

تلوم على ربط الجياد وحبسها وأوصى بها الله النبي محمدا

ورباط الخيل فيه فضل عظيم ومنزلة شريفة لمن ربطها في سبيله فالأجر والثواب يجري لرابطها، وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم بربط الخيل خاصة الإناث، فإن الأنثى بطنها كنز وظهرها عز. وفرس جبريل كان أنثى.[8]، والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة أو يكون جمع ويجوز أن يكون من " رباط الخيل" تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به.

ولقد حفز النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على كسب الخيل لما في كسبها من الخير والأجر والثواب، وقد صور النبي لأصحابه هذا بالبيان ففي اقتنائها الأجر والثواب في الآخرة، والمغنم في الدنيا وربط النبي صلى الله عليه وسلم بشيء محسوس ملموس في الخيل وهو الناصية، جاء في الحديث: قال صلى الله عليه وسلم:"الخير معقود بنواصي الخيل"، قال: فقيل له: يا رسول الله، بمَ ذاك؟ قال:"الأجر والمَغنم إلى يوم القيامة"[9]، ففي هذا الحديث يصور النبي صلى الله عليه لأصحابه أن الخيل وسيلة لتحصيل الأجر والثواب، وأن هذا الخير مربوط في ناصيتها؛ أي في مقدمة رأسها وهي جزء منها فقط لذلك أطلق النبي صلى الله عليه وسلم الجزء وأراد الكل، فالخير معقود فيها بما تدر على صاحبها من المغانم التي تغنم عند مواجهة الأعداء والتغلب عليهم وأخذ ما لديهم، وما يحصل عليه من الثواب يوم القيامة بسبب الغزو بها و ملاحمة الأعداء ومطاحنتهم.

– **وسيلة للركوب والزينة**:من الصور التي صور القرآن الخيل بها أنها وسيلة للركوب والزينة؛ فهي وسيلة يمتطي الإنسان ظهرها وتحمله من مكان إلى مكان، وهي علامة من علامات الزينة، وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله:(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[النحل:8]

وهنا بين الله تعالى أنها تكون للركوب والزينة، فالعرب كانوا يتباهون بالركوب على الخيل, ومما يحصل التفاوت والتمايز بين القبائل كسب الخيل والإبل يقول ابن جرير الطبري: "وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم، للركوب وغير ذلك"[10]، فهذه المخلوقات التي ذكرت الآية الكريمة ومن بينها الخيل مما امتن الله سبحانه وتعالى بها على عباده وجعل لهم فيها منافع في حياتهم ومظهر من مظاهر الزينة والاستمتاع بصورها ومناظرها، فالخيل تسر الناظرين لها وتبعث في نفوس محبيها الطمأنينة والراحة عندما يحدقون النظر فيها، لأن النفس البشرية عند السآمة والملل تبحث عن ما يجلب إليها السكينة والراحة فتنظر إلى هذه المخلوقات وتتأمل فيها

– **العدو والضبح والقدح والإغارة**:فقد صور لنا القرآن الكريم في إحدى سوره الخيل كيف تعدو وتضبح وتقدح الشرر من حوافرها بتصوير بديع وكأنه صورة ماثلة جاسمة أمام التالي والقارئ للقرآن الذي يتمعن ويدرك معاني الآيات، وقد تجلت هذه الصورة بوضوح في قوله تعالى في مطلع سورة العاديات حين صدرها المولى سبحانه وتعالى بقوله:(**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**)[سورة العاديات:1– 5]، فقد بدأ الله سبحانه وتعالى بصورة العدو فالخيل كثيرة العدو والجري الشديد كالبرق، ثم أردف ذلك بالضبح الذي يحمل دلالات متغيرة منها: أن الضبح نوع من السير والعدو، وقيل صوت أنفاس الخيل جاء حيث أنها عندما تعدو وتجري تحث أصوات بأنفسها شديدة قال الفراء :الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت."[11] ، ويبدع السيد قطب في تجسيد هذه الصورة بشكل مفعم بالحياة والحركة، حيث استطاع بذوقه تجسيد صورة الخيل تعدو وتركض في خفة وسرعة مع بزوغ النهار بشكل لافت لا يصله إلا من أوتي ذوقا وحسا مرهفا.

هذه بعض الصور للخيل في الكريم، فهي من الأشياء التي جبلت الأنفس على حبها والاستمتاع بها، لذا أحببتها؛ فربما أحبها الواحد أكثر من نفسه وقدمها عليها؛ خاصة الإنسان العربي الذي يدرك أسرار هذا المخلوق بشكل كبير، وهي أيضا مصدر من مصادر إبراز القوة والخيلاء على الأعداء ولا يحمد التبختر والخيلاء إلا في ساحة الوغى بها لأجل إعلاء كلمة الله' سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى أنها وسيلة للركوب والزينة .

5. خاتمة: بعد تتبعنا لبعض الآيات التي ورد في سياقاتها ذكر الخيل في القرآن الكريم يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

– القرآن الكريم احتفى بذكر هذا المخلوق في كثير من المناسبات، و الآيات كما لاحظنا في عناصر هذه الورقة البحثية.

– الدقة الكبيرة في التصوير القرآني بالنسبة لهذا المخلوق تبعا للسياق الذي ورد فيه ذكره.

– تعدد التصوير القرآني للخيل فتارة لاحظنا أن القرآن يصور هذا المخلوق تصويرا مفعما بالحياة، حيث صوره لنا بأنه من متع الحياة التي جبلت الناس على حبها مثل النساء والبنين والأموال، وتارة صوره لنا بأنه وسيلة للغزو والجهاد ومقارعة الأعداء، ووسيلة للزينة والركوب، وأبدع صورة تلك التي صورة لنا مشهد الإغارة في الصباح الباكر مع ما يتبعها من إثارة الغبار والركض والعدو والضبح.

فالقرآن الكريم رسم لوحة متنوعة متعددة الأباعد لهذا المخلوق الذي أحبته العرب وتشرف بالذكر في الذكر الحكيم في أكثر ما مناسبة.

- الهوامش:

[1] - لسان العرب. ابن منظور :– دار لسان العرب- بيروت- مادة "ص.و.ر". - د.ت – 492/2

[2] - حياة الحيوان الكبرى.كمال الدين محمد بن موسى الدميري.دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.دمشق – سوريا-.ط1992.ص52.

[3] - لسان العرب مرجع سابق.ص195.

[4] - الخيل. أبو عبيدة معمر بن المثنى.مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدآن)الهند.ط1 " 1358 هـ".ص39- 40.

[5] - ينظر الجامع لأحكام القرآن.لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.اعتنى به هشام سمير البخاري.دار عالم الكتب."د.ط""د.ت".ج4.ص32-33

[6] - في ظلال القرآن.سيد قطب."د.ط"."د.دار نشر.""د.ت.م".ج3.ص36.

[7] - البيتان لكعب بن مالك الأنصاري، وهما من البحر الطويل.

[8] - ينظر المصدر السابق.ج8.ص36 وما بعدها.

[9] - شرح مشكل الآثار.لأبي جعفر أحمد بم محمد سلامة الطحاوي.تح:شعيب الأرنؤوط.مؤسسة الرسالة.بيروت.ط1"1415هـ - 1994م".الحديث رقم:323.ج1.ص294. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير. باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: ج4.ص21 .رقم:2166.

[10] - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن.أ بي جعفر محمد بن جرير الطبري. تح:د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1(1422هـ-2001م).

[11] - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير.محمد بن علي بن محمد الشوكاني.تح:عبدالرحمن عميرة."د.ط"."د.دار"."د.م"."د.ت".ج5.ص647.